
سوار الرفاعي
الأخير
تأليف: سمير نبوي أبو زيد
eslam
magdy

الفصل الأول

أنا مهندس كهرباء لسة متخرج وبشتغل في شركة مقاولات . . . بعد أسبوع عمل متعب في الشركة اللي بشتغل فيها في القاهرة، كنت مروح البلد . . ولإن يوم الخميس بيكون زحمة والمواصلات بتكون صعبة فأنا بأفضل أركب القطر . . كنت طالع يومها من الشغل متأخر وصلت المحطة حوالي الساعة 11 وكان آخر قطر 11:15 يدوبك ألحقه، ونا داخل المحطة قبلتني ست عجوزة قوي، ضهرها محني خالص لدرجة إنك متشوفش وشها ، منخيرها طويلة ، هي الحاجة الوحيدة اللي باينة منها لما تبصلها . . كانت شايلة شنط تقيلة وماشية ببطء جداً مش قادرة تمشي . . فصعبت عليا فقررت أساعدها .

رحتلها قلتلها: عنك يا أمي، عاوزة تروحي فين ؟

زي ما تكون كانت مستنياني أشيل عنها ، بسرعة إديتني الشنط وقالت بصوت مش باين عليه التعب وبلهجة صعيدية: تشكر يا ولدي . . أنا مش راحة مكان إبعيد . . بس زي ما أنت شايف أني كبيرة ومش قادرة أشيل الشنط دي . . ومليش إولاد يشيلوعني . . داهية تاخد التار . . أخد ولادي التلاتة .

استغربت حسيت إنها بتتكلم عن موت ولادها التلاتة عادي خالص مبنش عليها زعل، وكأن كل فيدتهم ليها إنهم يشلولها الشنط . . لكن رديت عليها بذوق: كلنا ولادك يا أمي . . أنا هساعدك .

كنت بقولها كدة بحاول أخلص الحوار . . . عاوز أقولها عاوزين نتحرك يا حجة القطر هيفوتني، بس اتكسفت . لكنها مشيت الحمد لله أخيرًا ومشيت وراها . . كانت بتمشي براحة جدًا . . وكل أما أقولها هوقف تكسي يوديكي المكان اللي إنت عوزاه . . تقولي: خلاص يا ولدي جربنا نوصل . . خليك صبور .

لدرجة اني قلتلها متقلقيش هدفع انا يا حجة الأجرة لكنها كررت نفس الكلمة بنفس الأسلوب وحتى مكنتش بتبصلي وهي بتتكلم ولا بترفع راسها .

بعد شوية كنت يأست إني ألحق القطر، عدى أكتر من ربع ساعة وعمري ما هلحقه، هخليني معاها بقى لحد ما توصل وأهو آخد ثواب علشان ربنا يكرمني في حياتي اللي لسة بدأها .

لكن عدت ساعة ولسة موصلناش، أنا صبري نفذ خلاص مش قادر . .

والست عندها لا مبالاة غريبة وكأنها اشترتني . . لدرجة إني ندمت إني ساعدتها: طول الطريق مبطلتش كلام وأنا ماشي وراها . . وحتى لهجتها مش فاهم منها حاجة ودي عمالة تتكلم .

أخيرًا وقفت في منطقة غريبة البيوت فيها قديمة، أول مرة أجيها، وتحس إنها مهجورة قعدت تبص حوليها شوية، فقلت دي أكيد تاهت . . أنا شكلي هبات في الشارع إنهاردة . . إيه البلوة دي .

لكن جه الفرج نطقت أخيرًا وقالت: أهه . . أدينا وصلنا يا ولدي . . حط عنك الشنط على الرصيف إهنه .

قلتلها: عاوزة مني حاجة تاني يا حجة؟

قالت: تشكر يا زين . . يا ابن الأصول . . مش عارفة أكافئك بإيه، أني عارفة إنك مش هتجبل إفلوس . . شكلك مُحترم .

قلتلها: مكافئة إيه يا أمي . . ربنا يكرمك، المهم إنك وصلتي بالسلامة .

قالت: لع . . أني هكافئك بحاجة أحسن إكتير من الفلوس . . رفعت راسها وبصتلي لأول مرة . . حسيت إن الإنحناء اللي في ضهرها قل جدًا . بصتلي في

عيني لقيت عنيها شكلها غريب . . عنيها مدورة وواسعة خالص . . عمري ما شفت عين في الوسع ده . . والسواد في عنيها مش زي أي سواد، سواد بجد، وتقريبًا مالي عنيها الواسعة دي، تقريبًا مفيش بياض في عنيها غير حتة صغيرة خالص في الجنب.

عنيها كانت مخيفة بجد . . شفتها قلبي انقبض . . هي حست بده لكنها متفجأتش . . ابتسمت ابتسامة خوفتني أكتر . . . كأنها كانت عارفة إنها لما تبصلي هخاف.

وشها كله مليان وشوم بلون أخضر، جبهتها وخدودها ودقنها، كله كله، حروف غريبة . . والتجاعيد في وشها بالطول وبالعرض، كأنها مسطرة وشها مربعات. ومنخيرها الكبير حسيت إنه بقى أكبر . . بقى شبه منقار الغراب.

بدأت تتكلم علشان تقولي على المكافئة العظيمة . . . . لقيت حاجة مخيفة أكتر حصلت:

صوت الست أتغير وبقى شبه فحيح التعابين . . صوت مرعب . . حسيت إني عاوز أسد وداني لما اتكلمت . . لكن مكنش هيأثر حتى لو سديت

وداني . . . الصوت رغم إن المسافة بيني وبينها كانت يجي 2 متر . . حسيت كإنها بتوشوشني . . حسيت كأنها بتتكلم جوة دماغي، الصوت مكنش طالع من بوقها، الصوت كان جوايا .

لما فتحت بقها علشان تتكلم بان بقها مفيهوش أي سنان . . لقيت نفسي ببص لشفايفها ، المجعدة الطويلة، وهي بتتحرك وبحاول أتأكد من إحساسي إن الصوت مش بيطلع من بوقها وإنما كأنها بتتكلم جوايا . . وكانت بتطلع لسانها الرفيع الطويل من بوقها تمسح بيه شفايفها كل شوية وهي بتتكلم .

حسيت إني اللي قدامي مش واحدة ست، حسيت إني بكلم تعبان . . تعبان في صورة ست . .

نطقت وقالت:

الفصل الثاني

اسمع يا ولِد اللي هجولك عليه ده إكسير . . حطه حلجة في ودنك لو كنت عاوز تحمي نفسك وتحمي الجِربين منيك . . هجولك كلمة تُحطها حلجة في ودانك تحفظها زي اسمك .

رديت بسخرية مخبية وراها خوف . . كان قلبي بيدق لدرجة إني حسيت إن جلدي صدري بيتحرك: ليه ده كله يا حاجة، محصلش حاجة يعني . . كلمة إيه دي اللي ممكن تحميني .

ردت، بعد ما وسعت عنيها أكتر والجزء الصغير الأبيض اللي في عنيها إحمر كأن عنيها أتملت دم . . ملامح وشها زادت قُبح . . وانضاف مع القبح ملامح غضب . . . نبرة صوتها اتغيرت وتخنت وبقى ليها صدى مخيف . . قالت بفحيح شبه الرعد : " ما يجلي الهوايل إلا المرور في النار "

رددها يا ولِد . . " ما يجلي الهوايل إلا المرور في النار " . . يلا جول .

حسيت كأن البيوت حوليا بتتهز من الصوت . . وحسيت كأن صوتها ماسك قلبي وعمال يُرج ويعصر فيه، جسمي كله جاب عرق ولقيت نفسي بقول بصوت بيرتجف: " ما يجلي الهوازل إلى المرور بالنار "

نبرت صوتها تخنت أكتر وبقت نبرة راجل وردت: جُولها صُح " ما يجلي الهوايل إلا المرور في النار"

العرق زاد ووشي بقى أصفر وأطرافي كلها نملت ورددت وراها: " ما يجلي الهوايل إلا المرور في النار"

نبرة صوتها رجعت تاني لطبيعتها وقالت وهي بتبتسم: زين.. يلا دلوجتي، رَوْح يا ولِد.

سألتها ونا برتعش من الخوف: هو معنى الكلمة دي إيه؟

لقتها فجأة زي ما تكون سمعت حاجة خوفتها، أتلفتت حوليا وبصت للسما شوية، وبعدين كلمتني بنبرة حد خايف عليا: يلا ولدي.. بسرعة جبل ما البوابة تجفل.. أمشي بأعلى سرعة ممكن توصلها.. لكن أوعاك.. أوعاك تجري. ومهما سمعت أوعاك يا ولدي تتلفت وراك.. بص جدامك.

رديت: بس أنا مش فاكر الطريق

قالت: أمشي طوالي.. لا تدخل يمين ولا شمال.. طوالي يا ولدي.. مهما لجيت في الطريج.. كمل طوالي لحد ما تلاجي نفسك جدام المحطة.

هزيت راسي من غير كلام.. حولت أرد بس لساني أتشل من الخوف.

ونا بلتفت علشان أمشي لقتها بتنادي: ماهر!!!

عرفت اسمي ازاي دي!

بصتلها فقالت: هـم دلوجتي عرفوك ومش هيسبوكي يا ولدي.. خلي بالك على نفسك.. وأوعاك تنسى الكلمة اللي جلتلهالك.. دي طوج نجاتك ومكافئتي ليك، تجولها وقت ما تحس بخطر.. "ما يجلي الهوايل إلا المرور في النار"... يلا يا وِلد بسرعة.

لفيت ومشيت بسرعة قبل ما تتكلم تاني.. بعد دقيقة بدأت أسمع أصوات مخيفة جاية من ورايا.. صراخ رهيب.. والسما فوقي كانها كانت بتتشقق.. وبتنزل منها حجات شبه النيازك. الصريخ كان بيجي من كل مكان.

وفجأة لقيت الضباب ملى الشارع.. بقيت يدوبك شايف نص متر قدامي.. ظهرتلي شوارع جانبية، والعجيبة مكنش فيها أي ضباب. حسيت كأن فيه حاجة بتشدني ناحيتها. لكني افتكرت كلمة الست، أمشي طوالي.. لا تدخل يمين ولا شمال.. كملت وكل خطوة كنت بمشيها زيادة كنت

بحس كأن فيها حاجة بتسحبني لورا . . حاجة بتقاوم حركتي . . كأني بعوم ضد اتجاه الموج . . كنت بقاوم بكل قوتي . . بمشي كأني طالع جبل من رمل .

الشوارع الجانبية مبتخلصش . . ومش شايف حاجة قدامي، مش عارف هوصل أمتى . . والصريخ اللي جاي من ورايا وصوت السما وهي زي ما تكون بتشقق . أنا مرعوب بجد . . عقلي كان بيقلي أجري . . أهرب، لكني علطول منعت نفسي من الجري . . أفتكرت الست قالت متجريش . . أمشى بأقصى لكن جري لأ .

ست . . يا هي ست فعلاً ولا دي إيه . . مش عارف . . أنا إيه اللي حطيت نفسي فيه ده .

فجأة الضباب بدأ يتحرك كأنه أشباح، قلبي مبقاش مستحمل من الخوف . . أنا طبيعتي مش جبان . . لكن اللي حوليا ده يخوف أي حد مهما كانت شجاعته . . خصوصًا لما متكنش فاهم حاجة: الضباب كمان بقى يطلع

منه صوت شبه عويل التعالب . . صوت مخيف ومزعج . . ومع صوت التعالب ظهر كمان صوت حفيف تعابين . .

كل ده بيحصل في الشارع اللي أنا فيه . . الشوارع الجانبية هادية . . وكأنها بتفتحلي إديها وتقولي تعالى .

لكني كملت . . قاومت بآخر قوة جوايا . . الضباب كان زي ما يكون بيتخانق مع بعضه . . أصوات الصراخ زادت ومبقتش من ورايا بس، بقت حوليا كمان .

حاولت أفتكر آية الكرسي أقولها . . لكني نسيت كل اللي أنا حافظه . . خوفي زاد . . أنا كمان مش قادر أنطق . . لساني مشلول .

فجأءة راح الغبار وشفت محطة القطر . وحسيت إن مبقاش فيه حاجة بتقاوم مشيي . . مشيت بأقصى سرعتي لحد ما لقيت نفسي وسط الناس . . وسط الزحام .

الفصل الثالث

لفيت راسي بخوف أبص على الشارع اللي أنا جاي منه . . ملقتش أثر ليه . .

بلعت ريقي بصعوبة . . اتحركت لأقرب رصيف رميت نفسي عليه آخد نفسي .

يا ترى اللي حصل ده هيبقى ليه توابع ولا خلاص كدة . . افتكرت كلمة الست قالتها : " هم عرفوك ومش هيسبوك" يا ترى كانت تقصد بده إيه ؟ !

وهم مين اللي عرفوني دول ؟ !

وإيه الكلمة العجيبة اللي قلتلي أحفظها دي: " ما يجلي الهوايل إلا المرور في النار" صرخت من جوايا : يا رب نجيني أنا ضعيف .

بعد شوية استجمعت قوتي وقررت أتحرك، لو فيه حد ناوي يأذيني فيستحسن إني أتحرك بسرعة مش أقعد استناه . بصيت في الساعة، لقيت ميعاد القطر فات من أكتر من ساعة ونص، كده مستحيل هلحقه .

خلاص يبقى هركب عربية لحد الموقف ويا رب ألاقي هناك عربيات . .

بمجرد ما دارت الفكرة دي في راسي صوت مرعب مألوف أتكلم

جوايا وناداني باسمي . . بصيت حوليا أدور على مصدره ملقتش حاجة . . ناس ماشية وعربيات وأتوبيسات . . الدنيا عادية .

قدرت بسهولة أميز الصوت المرعب اللي لا يمكن هنساه، كان صوت الست الصعيدية . . نادت: ماهر . . لما اتلفت قالت: انا مش جنبك متدورش عليا . . انا بعيد . . أبعد مما تتصور . . لاحظت إن صوتها متغيرش لكن لهجتها أتغيرت . . . مبقتش صعيدية .

كملت: أوعاك تروح الموقف . . طريق مسدود عليه ألف تعلب سانن سنانه علشان ينهشك، روح المحطة هتلاقي القطر مستنيك .

لسة هتكلم اقولها ازاي القطر لسة موجود . . قالت: مش هتخسر حاجة لو دخلت المحطة بصيت عليه . . دول عشر دقايق تأخير زيادة . . . لكن الطريق اللي انت رايحه مفيش منه راجعة .

كانت نبرتها هادية رغم الفحيح المزعج اللي بتتكلم بيه، حسيت إنها خايفة عليا فعلا . . ورغم إني متأكد إن القطر مشي اقتنعت بكلامها، عشر دقايق تأخير كمان مش مشكلة .

دخلت المحطة وعلى رصيف القطر بتاعنا . . لقيت القطر واقف والركاب واقفين على الرصيف وبيتكلموا مع بعض بجدية . . على وشوشهم مرسومة ملامح الغضب وفي عيونهم نظارت فزع .

قربت من واحد كان واقف لوحده وسألته: معقولة القطر ممشيش لسة .

قلي بنرفزة: أنا واقف على المحطة من ساعتين . . وشتم شوية في اللي ماسكين المحطة .

سألته: ليه التأخير ده كله ؟ !

رد وكأنه انبسط بالسؤال . . حسيته كان عاوز يحكي . . أهو لقى حاجة تسليه . . قال: القطر بعد ما اتحرك نزل للسواقين تعابين من السقف . . التعابين كلمتهم وقالتلهم يرجعوا المحطة تاني . . وفيه تعبان قرص واحد من الاتنين السواقين الراجل جتله غرغرينا وموجود دلوقتي في المستشفى . . لقينا القطر بعد ما اتحرك بخمس دقايق رجع تاني المحطة .

أنا مشفتنش لكن الناس اللي شافت قالت إن الاتنين السواقين نزلوا منهارين من الخوف . . كانوا بيجروا زي المجانين . . شوية وواحد منهم وقع على الأرض . . ده اللي اتقرص . الناس اتجمعت حوليهم وودته المستشفى . . أنا

شفتهم وهم شيلينه، بعد ما رجعوا حكولنا على اللي اتقالهم . . اللي أنا حكيتهولك دلوقتي ده .

لما الراجل خلص كلامه سرحت أفكر فيه . . طبعًا أنا فهمت إن فيه ارتباط بين مقابلتي للست الصعيدية وبين اللي حصل ده . . كنت بسمع الراجل ونا مرعوب، معقولة اللي حصل ده . . مين الست اللي أنا قبلتها الصبح دي، وعرفت إزاي باللي حصل ده، ولا تكون هي اللي عملته ؟ ! طب عملته ليه ؟ !

فقت من السرحان على صوت الراجل وهو بيسألني : أنت مصدق الحكاية اللي قالها السواقين دول ؟

حولت أرد إي رد قلتله: تلقيهم كانوا شاربين حاجة . . واتهيقلهم . شكل الكلمة عجبته، معظم الناس بتحب أي كلام شتيمة في الناس الغريبة عنهم ، ربما ده بيخليهم يحسوا إنهم طيبين، أو بمعنى أدق بيخليهم يحسوا إنهم أحسن من غيرهم رد : أيوة فعلًا عندك حق . . معظم السواقين بيضربوا برشام ، هتلاقي البرشام كان مغشوش ولا حاجة فاتهيقلهم

التعابين. . خلص كلامه وضحك. . فمجاملة ليه ضحكت معاه. طبعًا أنا كنت عارف إن السواقين فعلًا شافوا تعابين.

سألته: طب متعرفش القطر هيتحرك أمتى؟

قال: المفروض يتحرك دلوقتي. . الساعة 12:30 نادوا في الميكروفون وقالوا إن القطر هيتحرك بعد نص ساعة. . شكلهم كانوا بيدوروا على سواق.

مخلصش كلامه ولقينا القطر بدأ يتحرك.

في خلال لحظات كان كل الناس على رصيف المحطة بقوا جوه القطر. .

طول عمري بتعجب من الحركة دي. . إزاي العدد ده كله يقدر يدخل القطر وهو ماشي بالسرعة دي. . فعلًا مصر فيها حجات كتير تضحك وتثير العجب في نفس الوقت.

القطر مكنش زحمة زي العادة. . شكل معظم الناس لما القطر إتأخر راحوا الموقف يخدوا عربية. . أول ما كلمت موقف مرت في دماغي حسيت برعشة في جسمي. . افتكرت كلمة الست: " طريق مسدود عليه ألف تعلب بيسن سنانه علشان ينهشك "

طردت الفكرة من دماغي وشفت كرسي أقعد عليه، لقيت مربع فاضي خالص فقعدت على كرسي . . جنب الشباك . العربية كلها كان فيها يجي 20 واحد متنطورين كل واحد في مربع .

يا رب الوقت يعدي بقى . . يا رب اليوم ده يخلص . . هيحصل فيه إيه تاني . . لسة ناقص ساعتين على ما أوصل البلد .

كنت قاعد في آخر مقطورة، في نصها بالظبط، بعد شوية لقيت واحد جي من المقطور الي قبلنا . . بمجرد ما دخل من الباب بين المقطورتين شكله لفت انتباهي . . شكله ولبسه مختلفين خالص عن الناس اللي بتركب القطر . . عمري ما شفت حد أصلا بالشكل ده . النور في القطر كان ضعيف . . رغم كدة قدرت ألاحظ إن شكله مختلف .

لقيته بيقرب نحيتي وبيبصلي وهو بيبتسم ابتسامة حد شاف حد يعرفه، الابتسامة كانت مليانة مكر . . وصل للمربع اللي أنا قاعد فيه وقلي ممكن أقعد جنبك . . رديت بصوت مرعوش: اتفضل أكيد .

لما قرب بقت ملامح واضحة أكتر . . شكله كان أعجب مما تصورت . . شكله جي من عالم مختلف . كان طويل جداً تقريبا طوله 2 متر، أبيض بياض

شديد ،عيونه واسعة ولونها عسلي فاتح . رموشة تقيلة وطويلة وكان متكحل كحل شديد . . منخيره صغيرة لكن بوقه واسع جداً . راسه مفيهاش ولا شعره، وحواجبه كمان . . لدرجة إني قلت إنه يمكن مريض بالمرض الخبيث، لكن شكله صحته كويسة مستحيل الشخص ده يكون مريض . كان ماشي ساحب في إيده شوال تقيل جداً وكان شايله كأنه شايل كيس قطن . . كان لابس جلبية بيضا ولافف حولين رقبته كوفية عريضة وطويلة لونها بُني .

لما قعد وبصتله قلت في نفسي: ده أكيد كان من كهنة الفراعنة، وجاي من الماضي يطلع عيني . . مهي ناقصة . . مرة ست من الصعيد ودلوقتي كاهن فرعوني . . هو مفيش غيري ولا إيه؟ !

مجرد ما قعد لقيته انحنى نحيتي بطوله الكبير لحد ما بقى وشه في مستوى وشي، كانت المسافة بينه وبينه أقل من عشرين سنتي . . رجعت لورا وبصتله بفزع . لقيته بيقولي بنفس الابتسامة والنظرة متغيرتش من ساعة ما دخل المقطورة، وكأنها مرسومة على وشه . . قال: شفت . . أديك لحقت القطر . . لو كنت رحت الموقف مكنتش هترجع بيتكوا أبداً .

قلتله ونا قلبي بيتنفض من الخوف: إنت مين ؟

رجع بضهره ببطئ وسند على الكرسي . . وقعد لحظات ساكت بيبصلي نفس النظر المرسومة . . بعد شوية من الصمت المخيف رد: أنا رسول وحارس ليك . . من أشخاص يهمهم أمرك .

رديت: أنت ليه بتتكلم بالألغاز، حارس ليه، ومين دول اللي بعتوك ؟ !

رد: هفهمك كل حاجة متقلقش . . إحنا محتاجينك تفهم . . علشان لسة ليك دور، لازم تنفذه .

رديت بخوف: دور إيه ده ؟ !

قال: أنت عندك نت على الموبيل ؟ !

رديت: أيوة ليه ؟

قال: أدخل بص على الأخبار . . أي صفحة أخبار .

قلتله: ليه ؟

قال: شوف وهتعرف .

فتحت النت: لقيت خبر متكرر على كل صفحات الأخبار إن فيه حوادث كتير حصلت على الطريق الزراعي أكتر من عشرين عربية أتقلبت.

دخلت أشوف تفاصيل الخبر وأنا مفزوع.

لقيتهم كاتبين إن أسباب الحوادث غير معروفة.. وإن فيه عدد كبير جداً من المصابين والقتلى. الناس اللي نجيو وعرفوا يتكلموا.. قالوا إنهم قبل الحادثة بدقايق شافوا عدد كبير من التعالب على الطريق بعدها لقوا العربية بتتقلب.

الخبرا اللي فحصوا العربيات قالوا إن فيه حاجة مسكت في عجلة من العجل وشدتها بقوة فكسرتها والعربية إتقلبت مباشرة بعد اللي حصل ده.. كل العربيات اتقلبت بنفس الطريقة.

الناس اللي نجيت بيقولوا إنهم لقوا تعالب دخلت العربية وبصوا على وشوش الناس وكأنهم بيدوروا على حد.. بعدين مشيوا وهم بيعوو بصوت مخيف.. وكأنهم بيتناقشوا مع بعض.. وفيه حاجة مضايقاهم.

بعد ما خلصت قراية الكلام المرعب ده. . بصيت للشخص اللي قاعد قدامي. . كان لسة بيبصلي نفس البصة ومبتسم نفس الابتسامة. . قلتله: إيه المكتوب ده؟ وشاورت على الموبيل.

رد: لو كنت رحت هناك كانوا هينهشوا لحمك، ويخدوا عضمك لكبيرهم علشان يتأكد إنك ميت.

علطول نطت في دماغي الكلمة اللي الست قلتهالي: " طريق مسدود عليه ألف تعلب بيسن سنانه علشان ينهشك "

قلتله بغضب مليان خوف: أنتم مين وهم مين، وعاوزين مني إيه، وعملتلهم أنا إيه علشان يقتلوني؟!

قرب وشه مني ورد: هقولك. . اسمع كويس.

لكن نبرته المرة دي كان مختلفة. . نبرته اتقلبت لفحيح، وبدأ صوته ميطلعش من بوقه، بدأ يتكلم جوايا. . وصوته يعصر قلبي.

قال:

الفصل الرابع

فيه في مصر قبيلتين للجن، قبيلة الأفاعي وقبيلة التعالب، التسمية دي جت من الحيوان اللي بتقدر كل قبيلة إنها تتمثل بصورته لما تنزل لعالم البشر. أو تقدر تقول الحيوان اللي روح الجني بترتبط بيه.

رديت ونا صوتي بيرتجف: يعني تُقصد إنك إنت ! !

رجع بضهره وسند على الكرسي . . وبعدين هز راسو وقال: أيوة .

تعابير وشهه متغيرتش، نفس الابتسامة العجيبة. طبعًا أنا كان قلبي هيطلع من مكانه من الرعب.

قال: متخفش . . إحنا مش بنأذي حد طالما مأذناش، بالعكس إحنا هنا علشان نحميك أنت وبقية الناس.

قلت ونا برتجف: تحمينا من إيه؟

قال: الجن ميقدرش إنه ينزل عالم البشر إلا بصورة الحيوان المقترن بيه، وطالما اتمثل في صورة الحيوان ده، فهو بتحكمه كل القوانين اللي بتحكم حياة الحيوان ده ميقدرش يخالفها . . وهو نوع حيوان واحد اللي الجني يقدر يتشكل بصورته، زي ما قلتلك إن قبيلتي هي قبيلة الأفاعي، لإنها بتتشكل بصورة

الأفاعي . . إحنا منقدرش ناخد صورة بشر أو حتى أي حيوان تاني . . ده طبعًا بيضعف قوتنا جدًا في عالم البشر وبيصعب مهامنا .

قلت باستغراب: طيب إزاي إنت دلوقتي واخد صورة بشري، أيوة شكلك فعلًا غريب، لكن بشر؟ ؟ والست اللي قابلتها أظن إنها منكم برضو، مش كدة ولا إيه؟ !

لقيت عينه وسعت وركز عينه على عيني . . بعدين رفع الكوفية الكبيرة علشان تظهر رقبته . . .

لقيتها رقبة تعبان . . تقريبًا قطرها كان يزيد عن 30 سم بعدين لقيته بيخلع وشه .

قلتله: إنت بتعمل إيه . . مردش . . في لحظات كان خلع وشه وكأنه قناع وظهر من تحت الوش راس تعبان مخيف، مشفتش تعبان راسه بالحجم ده ولا حتى في أفلام الرعب . . وقتها فهمت سبب البسمة المرسومة اللي متغيرتش من ساعة ما دخل المقطورة، ده مجرد قناع مخبي وراه الوش الحقيقي .

بسرعة رَجّع القناع التاني ولف الكوفية قبل ما حد يشوفه . . كمل كلامه وقال: وجود الجني في صورة الحيوان بتضعفه، وبتقلل فاعليته، ورغم إننا

كأفاعي قدرنا نطور وسائل تخّفي، مكنتنا إننا ناخد شكل البشر لكن رغم كدة، وجودنا في الصورة دي بيمنعنا من قدرات كتير هتكون عندنا لو أتمنع عننا الحظر وقدرنا نتشكل بالصورة اللي إحنا عاوزينها .

سكت شوية يفكر وبعدين قال: إحنا ملناش رغبة في دخول عالم البشر، لكن قبيلة التعالب عاوزة تدخل وتسيطر عليه، فيه حرب بينا وبين قبيلة التعالب من أكتر من 500 سنة، لكنهم في الفترة الأخيرة قدروا يعرفوا الطريقة اللي من خلالها يقدروا يفتحوا الباب لعالم البشر، هي عبارة عن صولجان قديم يرجع لملوك الجن في عصر ما قبل الملك سليمان . . الصولجان ده هيخلي كبير التعابين في مقدوره إنه يستخدم قدراته كجني في كل العوالم . . بما فيهم عالم البشر، هو وكل أتباعه . . كمان الصولجان جواه قوة سحرية عظيمة، مفيش أي جني على وجه الأرض يقدر يهزمها ولو قدرو يوصلوله، يبقى قبيلتي كلها هتكون مهددة بالفناء .

علشان كدة كان لازم نتحرك بسرعة، وقدرنا إحنا كمان نلاقي طريقة من خلالها ممكن ندمر الصولجان ده، الطريقة دي عبارة عن تعويذة من مرحلتين .

بعد ما جمعنا مكونات المرحلة الأولى من كل أنحاء مصر، كان لازم نروح مكان محدد في عالم الجن، علشان نقدر إننا نكّون المرحلة دي . . إكتشفنا إن التعالب عملوا تعويذة، تخلي أي حد منا لو شال مكونات المرحلة الأولى بنفسه يتحرق في الطريق قبل ما يوصل . . وبالتالي مبقاش قدامنا غير إننا نشوف واحد من البشر هو اللي يشيل الحمولة دي ويوصلها للمكان اللي هنتكون فيه المرحلة الأولى من التعويذة بعد كدة نسيبه .

قاطعته: وطبعًا الشخص سيء الحظ ده كان أنا .

ضحك جوايا بدون ما تعبيرات وشهه تتغير لكن دلوقتي أنا فاهم ليه مبتتغيرش . . رد: أيوة كان إنت .

السيدة أرهفان أتطوعت تقوم بالمهة دي وجتلها الفكرة العبقرية دي، إنها تروح محطة القطر وتمثل شخصية ست عجوزة صعيدية مش قادرة تشيل شنط سفرها لحد ما يجي شخص طيب ويعرض عليها إنه يشيلها عنها، وساعتها تاخده معاها يوصل الحمولة للمكان المطلوب، بعد كدة كانت الخطة إنها ترجعه لمكانه تاني . . لكن بمجرد . . .

قاطعته: هي الست العجوز الوحشة دي اسمها "أرهفان"؟

ضحك تاني جوايا . . حسيت ضحكته ودودة، حسيت كأنها ضحكة حد مع صاحبه، ولقيت نفسي بدأت أتعود على الفحيح ومبقاش يضايقني .

رد : أيوة ده اسمها . . ليه ؟

رديت: أصل تحسه اسم واحدة حلوة . . وبصراحة دي وحشة خالص .

ضحك تاني بصوت أعلى، وبعدين قال: لو شفتها على صورتها الحقيقية هتغير وجهة نظرك أكيد ، هي أجمل بكتير من الإنسيات .

سألته: كنت هتقول سبب إن الست أرهفان مرجعتش معايا المحطة، ليه بقى ؟

رد : حصل هجوم من التعالب بمجرد ما وصلتم الوجهة المطلوبة، كان فيه هناك كمين . . حسيت كأن نبرته أتغيرت وأتقلبت نبرة حزينة . . كمل: فيه أكتر من 100 جندي من عندنا ماتوا في المعركة دي، علشان يحموك ويحموا مكونات المرحلة الأولى . . لكن في النهاية قدرنا نردهم .

قلتله: طيب مش خلاص المكونات وصلت مكانها ، أنتم عاوزين مني إيه تاني ؟

رد : الثعالب طلعوا أمكر مما تصورنا . . سمعة التعالب في المكر مطلعتش من فراغ .

التعالب حطوا مع التعويذة اللي بتمنع أي جني يشيل المكونات ويمر بيها ، إضافة مخفيّة إننا لو جندنا واحد من البشر ينفذ العملية دي، فهيكون عليه إنه هو بنفسه يكمل المرحلة التانية، وإلا التعويذة تنتهي للأبد .

كانوا طبعًا مستنينك تطلع علشان يقتلوك، وبالتالي تكون كل خطتنا باظت .

لكن جواسيسنا لاحظوا تحركاتهم الغريبة، وكماينهم الكتيرة اللي اتنصبت علشان تقتل الشخص اللي هيشيل المكونات، دورنا على السبب إلي يخليهم يكلفوا نفسهم كل التكلفة دي، وبعتنا أمهر خبرائنا في التعويذات، وأكتشفوا الجزء ده من التعويذة في اللحظة الأخيرة، وبعدين أكتشفوا الكماين اللي التعالب كانوا نصبينها على طريق السيارات . . فعلطول بعتنا مجموعة من جنودنا عطلوا القطر بتاعك، وحطينا أكتر من 10 آلاف جندي في طريقك لحمايتك . . وقدرت السيدة أرهفان تبعتلك رسالة بإنك تدخل محطة القطر وتبعد عن طريق السيارات، لإننا كان هيكون صعب علينا جداً نحميك فيه، لإن كماين التعالب كانت منصوبة بشكل يستحيل إختراقه .

سكت فاتكلمت وقلت: فيه شوية حجات عندي فضول أعرفها ؟

رد: أتفضل.

قلت: ليه ونا راجع كان فيه أصوات صريخ رهيبة وكانت السما بتتشقق، وليه السيدة أرهفان قلتلي ونا مروح مدخلش أي شارع جانبي، وليه قلتلي أمشي بأقصى سرعتي لكن مجريش ؟ وليه بتتكلموا جوايا بالطريقة المزعجة دي ؟

رد: رغم إن دي تفاصيل مش مهمة قوي، وفيه حجات أهم لازم نتكلم فيها، لكن هجاوبك.. علشان تكون فاهم، وتعرف إن مهمتك الجاية مش سهلة.

إنت مكنتش في شارع عادي، لما كنت ماشي مع السيدة أرهفان، إنت كنت في شارع من شوارع الجن، بلفظ أدق: أنت كنت تحت الأرض.. السما مكنتش بتتشقق وإنما الأرض من فوقك هي اللي كانت بتتشقق، أصوات الصريخ والضباب دول كانوا بسبب المعركة اللي كانت دايرة حواليك لحمايتك، أما عن الشوارع الجانبية فدي كانت فخاخ عملها التعالب لو دخلتها كنت هتقع في أبيار من حمم نارية.. وميفعش تجري، لإن شوارع الجن لو لقت حد بيجري فوقها بتعرف إنه دخيل وبيحاول يهرب فتبتلعه، ليه

كانت الحركة صعبة وكنت حاسس كأنك طالع جبل، لأنك ببساطة فعلًا كنت طالع جبل، أنت كنت بتخرج من تحت الأرض.

فهمت ولا عندك سؤال تاني؟

رديت: فهمت.. طيب أنا مطلوب مني إيه دلوقتي؟!

قال: كلامي كان واضح.. اللي عمل المرحلة الأولى، لازم هو نفسه اللي يكمل المرحلة التانية.

قلت بغضب: بس أنا مش موافق أعمل حاجة زي دي.. إزاي تدو لنفسكوا الحق إنكم تدخلوني في لعبة زي دي، مهمكوش يحصلي حاجة، أهم شيء أنتم تنتصروا على التعالب.. مش مهم مين ينضر، وجايين دلوقتي عاوزني أرمي نفسي في حرب مليش علاقة بيها، أموت أنا في داهية علشان أنتم تعيشوا.

رد: كان لازم حد يقوم بالمهمة، والقدر إختارك تكون الشخص ده..

أما عن رفضك لإنك تكمل المهمة، فإنت مع الأسف معندكش الصلاحية ترفض، إحنا لو رفعنا من عليك الحراسة ثانية واحدة، التعالب مش هيخلوا في جسمك غير شوية عضم، مش أنت لوحدك، التعالب شيفاك عميل لينا

وفاكرين إننا مأجرينك، بالتالي هينتقموا منك، هيقتلوك أنت وكل اللي ليهم علاقة بيك.. يعني أهلك وخطيبتك، كله هيتقتل.

قلت بنبرة غضب مليانة خوف: أنتم اللي حطيتوني في المصيبة دي وأنتم اللي لازم تخرجوني منها.

رد: محدش قلك تشيل الشنطة، أنت اللي عملت ده بكامل رغبتك، محدش نداك.. صح؟

قلت: أيوة فعلاً محدش ناداني، لكن أنا نيتي كانت خير أنا كنت عاوز أساعد.. هو ده جزاء عمل الخير.. أنا مستحيل أكمل في حاجة زي دي مستحيل أرمي نفسي في النار.

قال بنبرة هادية، وكأن رفضي مأثرش فيه، كأنه واثق إني هوافق: بص.. إحنا فعلاً هنخرجك من الوضع ده، بس تساعدنا.. أهدى كدة وأسمع بقية كلامي، يمكن تلاقي إن الصدفة اللي حصلتلك دي مفيدة مش مضرة، يمكن مقابلتك للسيدة أرهفان ومساعدتك ليها تجبلك الخير.

المرحلة الجاية أسهل بكتير من المرحلة اللي فاتت.. لإنها هتحصل في العالم بتاعكم.. عالم البشر، قبيلة التعالب في عالم البشر مجرد تعالب، كائن

مكار لكن ضعيف، لو قدرت تاخد بالك من مكره وخليته يواجهك ساعتها هيكون أضعف منك بكتير.

إحنا هنكون جنبك وهنحميك، وهنوصلك للمكان اللي هتعمل فيه المهمة، أنت كل اللي هتعمله هتدخل بيت في القاهرة وهتعمل فيه حاجة بسيطة وتطلع.

قاطعته: طيب إيه مصيري أنا ومصير أهلي بعد المهمة ما تخلص، أنتم هتسيبوني أكيد والتعالب هتنتقم مني.

لقيته بيضحك بصوت عالي، ضحكته مكنتش زي الضحكات اللي فاتت، مكنتش ودودة كانت مخيفة. رد: لما المهمة تنجح مش هيكون فيه تعالب تنتقم منك.... وعامة إحنا هنحميك لحد آخر يوم في عمرك، طالما مخنتناش. أنت فاكر الجملة اللي السيدة أرهفان قلتهالك؟

رديت: "ما يجلي الهوايل إلا المرور في النار"

قال: تقولها في أي وقت هتلقينا جنبك بنحميك.

سألت: هو ده استخدام الكلمة دي، إني أستدعيكم؟

قال: ده واحد من أستخدامتها.. لكن هي أهم من كدة بكتير.

سألته: تقصد إيه؟

مردش ولقيته غير الموضوع وقال: إحنا مش بس هنحميك لما المهمة تنجح، إحنا كمان هنديك مكافأة هتخليك أقوى فرد بين البشر، هنديك سوار الرفاعي.. السوار ده محدش لبسه من 40 قرن.

بصيتله باستغراب.. ولسة هتكلم لقيته قال: أكيد عاوز تعرف السوار ده بيعمل إيه.. هزيت راسي.. فقال: ده هيديك القدرة على الكلام مع التعابين والتحكم فيهم، هتكون ملك لكل تعابين الأرض.. تخيل القوة اللي هتكون معاك.. هتكون بطل خارق زي بتوع هوليود، مش اسمها كدة برضو.. ضحك بصوت عالي نفس الضحكة المخيفة.

بصراحة الموضوع أغراني، أكون بطل خارق، معقول ده ممكن، وليه لأ، أنا شفت إنهارده حجات مستحيل يصدقها العقل، أنا قاعد دلوقتي بتكلم مع تعبان، إيه اللي يمنع إني أكون سيد التعابين.

لكني فقت من السرحان على فكرة مرت في دماغي فسألته: طيب ولو فشلت في المهمة إيه اللي هيحصل؟

لقيت عينه إحمرت بالكامل مبقاش فيها بياض أو ولا سواد، بقت كلها بلون الدم ولأول مرة التعبير على وشة أتغير والابتسامة أختفت وبقى مكانها ملامح غضب قال بصوت زي الرعد: المهمة مش هتفشل.. لو المهمة دي فشلت العالم بتاعك والعالم بتاعي هيتدمر، أنت مش بتعملنا حاجة لحسابنا هنديك عليها مكافئة إنت هتحمي نفسك وأهلك وأكتر من كدة العالم بتاعك.. المهمة مش هتفشل.. فاهم.

حاولت أرد لكن صوتي مطلعش من الخوف، فهزيت راسي.

رجعت لوشه تعبير الابتسامة.. أو نقدر نقول رجع للقناع اللي على وشه ملامح الابتسامة.. كمل كلامه وقال: هتروح إنهاردة تسلم على أهلك.. وتنام كويس.. بكرة في نفس الميعاد اللي قابلتك فيه السيدة أرهفان، هنكون في القاهرة. إحنا هنيجي نخدك متقلقش.

ومتحولش تهرب لإنك مش هتعرف، إحنا مراقبين كل مكان حوليك. ولو صدفت وعرفت تهرب منا، فإنت كدة هتكون بترمي نفسك بإرادتك تحت أنياب التعالب.. وجودك وسطنا هو الوسيلة الوحيدة ليك علشان تعيش.

بلعت ريقي بصعوبة، وبعدين قلت: طيب مش هتقولي هعمل إيه في المهمة دي؟

رد: كل حاجة هتعرفها في ميعادها متقلقش.

إحنا جنبك.. وأهلك كمان هنحط حراسة عليهم كلهم لحد ما تتأكد إنكم بأمان.

سكت شوية وبعدين لقيته بيبص حوليه كإن فيه حد ناداه بعدين قال: هسيبك دلوقتي.. أشوفك بكرة.

قام ولف.. ناديته: مقلتليش ليه بتتكلموا جوايا.. ليه متتكلمش عادي زي ما كنت بتتكلم أول ما قعدنا؟ ليه الطريقة الفظيعة دي؟

رد وهو بيضحك بسخرية: مش كل حاجة لازم تعرفها.. كمل طريقه. وصل قدام دورة المياة وهو ساحب معاه الشوال الكبير، اللي لاحظت إنه جواه حجات بتتحرك، دخل دورة المياة وقفل الباب.. عرفت إنه أختفى.. مرحتش حتى أبص في دورة المية أتأكد.

شوية والقطر وصل محطتنا.. نزلت ونا دماغي هتنفجر من التفكير.. وقلبي هينخلع من الخوف والقلق.. يا ترى هيحصلي إيه بكرة؟!

الفصل الخامس

تاني يوم العصر كنت في أوضتي بكلم نفسي كنت قلقان ومرعوب، يا ترى هيجولي إزاي . . أنا مش عاوز أهلي يعرفوا حاجة عن الموضوع ده، يا ترى هيحصلي إيه . . إزاي وافقت على حاجة زي دي ؟ !

ونا في إيدي إيه بس مهو لو معملتش كدة أهلي هيتقتلوا بسببي . . مش مهم أنا . . أتنهدت بحاول إني أشيل القلق شوية، قلت في نفسي يمكن ميجوش، يمكن يكون حلم، يمكن يقتلوا بعض وأرتاح. يا ربي أنا كنت عاوز أعمل خير في الست، يحصل كدة ليه، إشمعنا أنا ؟ !

أستغفر الله العظيم، برضو يمكن دي فرصة . . مهو لو نجحت هكون عملت شيء كويس محدش عمله قبلي، ده هكون أنقذت البلد كلها . . كمان دول وعدوني هيدوني سوار الرفاعي، يا ترى بيضحكوا عليا ولا هيدوني الشيء ده فعلاً . . قوة خارقة، طول عمري بحلم بحاجة زي دي، سيد الأفاعي . . هههه، اسم حلو . . بس أكيد هسخرهم للخير . . . يووه إيه اللي بفكر فيه ده، إنا في الغالب مش هرجع أصلاً . . دي معركة بين جن،

وأنا وسطهم لا حول ولا قوة، لو التعابين مقدرتش تحميني أهلي مش هيلاقوا حاجة من جسمي يدفنوها . . ربنا يستر .

فجأة سمعت صوت زي جرس في وداني . . جرس بيدق بقوة وباستمرار . . بصيت من البلكونة لقيت من بعيد وسط الزرع فيه عربية واقفة وحد فيها رافع علم على شكل مثلث، أكيد هم . . شاورتلهم فصوت الجرس وقف، عرفت إنهم هم .

رحت أودع أمي . . قلتلها إنهم في الشغل إتصلوا بيا علشان مأورية مهمة، لقتها حطت إديها على قلبي وقلتلي: مال قلبك بيدق جامد كدة يا ماهر . . حاجة حصلتلك يا حبيبي . . عندك مشاكل في الشغل ؟

مش عارف حست إزاي إن قلبي كان بيدق بقوة رغم إن المسافة بيني وبينا كانت يجي متر . فعلاً قلبي كان هينخلع من الخوف . قلتلها : لا بيدق جامد ولا حاجة يا ماما . طبعًا مصدقتنش وأعدت عشر دقايق بحاول أرد على أسألتها ردود متقلقهاش، فين وفين لما عرفت أمشي .

ونا نازل إتصلت بخطيبتي أعرفها إني مسافر وأقولها إني بحبها ، والعجيبة لقتها برضو بتقولي إني صوتي متغير وأضطريت برضو أرد على فيضان من الأسئلة .

طبعًا الاثنين مقتنعوش بكلامي، لكن هعمل إيه لازم أروح. . ومقدرش أقولهم أنا رايح فين.

وصلت للعربية كانت عربية دفع رباعي، وكان فيها ثلاثة، بالظبط شبه الجني اللي قابلني في القطر حتى نفس الابتسامة السمجة اللي كانت مرسومة على وشه، بقى هم كدة اتطوروا في فنون التخفي! عملين أقنعة كلها نفس الشكل. . . دي باينها هتبدأ بغباوة ربنا يستر.

ركبت العربية في الكرسي اللي ورا كان فيه واحد بس قاعد عليه واثنين قاعدين قدام وأتحركوا من غير ما يكلموني. . ربع ساعة عدت ومحدش منهم إتكلم. . فقلقت وسألتهم: مقولتليش هنروح فين وهنعمل إيه؟

رد اللي قاعد جنبي جويا بصوت فحيح إتعودت عليه فمبقاش يخوفني: أصبر يا ماهر كل شيء هتعرفه في وقته.

رغم إن ملامحهم مبتتغيرش نتيجة القناع، لكن أنا حسيت من نبرته ومن حركاتهم هم الثلاثة إنهم قلقانين. . فيه حاجة أنا معرفهاش. . يا ترى التعالب بيطاردونا؟ ربنا يستر.

العربية طلعت من الطريق الزراعي ودخلت صحرا . . إزاي هيروحوا القاهرة من الصحرا كدة معرفش . . لكن الصحرا دي كانت شكلها غريب، أنا طلعت رحلات سفاري كذا مرة قبل كدة . . عمري ما شفت صحرا بالشكل ده . . الرمل بيتحرك تحت العربية كإنه موج . . كنت فاكر في الأول إنه بيتهيألي وإن ده تخيل بسبب حركة العربية السريعة، لكن بصيت بعيد لقيت في صخور ورمل بيتحركوا مع إتجاه العربية .

فجأة دخلنا وسط جبلين لونهم أسود . . الجبلين ميلين على بعض كإنهم حضنين بعض ده عمل بينهم ممر واسع وطويل جداً مكنتش شايف آخره . .

سألت الشخص اللي جنبي: هو ده طريق القاهرة ؟ !

رد: ماهر . . يا ريت تركز في المهمة ومتشغلش بالك بالطريق . . أيوة ده طريق القاهرة، أكيد مش الطريق التقليدي . مظنش إنه من العقل إننا نمشي في الطريق التقليدي . . الطريق ده ميعرفهوش غير قبيلتنا . . إحنا مش هنخاطر بإن التعالب تمسكك .

وسط الجبلين كان الصخر أملس جداً وشكله صلب لكن، رغم كدة، عجل العربية كان وهو ماشي بيعمل صوت زي الصوت اللي بتعمله العملات المعدنية لما تتهز جوة علبة فخار.

وحيطان الجبل هي كمان كان جاي منها أصوات متداخلة... صوتماية بتجري ورياح بتتحرك جوه كهف، ده عادي في جبل، لكن كان في صوت مختلف.. حاجة كدة زي صوت خوار ثور أو باب قديم كبير بيتفتح ويتقفل.. مش عارف أشبهه، لكن الأغرب في الصوت إنه كان زي ما يكون بيتكلم.. الصوت مكنش عشوائي، كنت حاسس كإن الجبلين فيه محادثة بينهم.. جبل بيتكلم والتاني يرد عليه.

السواق كان بيتحرك بحذر جداً وكأنه خايف يصحي حد نايم.. التلاتة كانوا بيبصوا حواليهم كإن فيه حاجة هتقع فوقهم من الحيطان.

بعد فترة تزيد عن ساعة ظهر كهف واسع في الجبل اللي على يمينا، دار السواق بالعربية ودخل الكهف.. جبل إيه ده اللي تمشي ساعة بالعربية جواه ميخلصش.. ده كمان لسة هندخل كهف.

أول ما السواق دخل الكهف شغل كشافات العربية، ولاحظت إنه بقى يتحرك بسرعة كبيرة جداً، الدنيا كانت ضلمة ومكنتش شايف حاجة لكن السرعة اللي كانت العربية ماشية بيها، كانت فوق ال 200 .

قلت للي قاعد جنبي مش نمشي بالراحة شوية إنت كسرت ال 200، لقيت التلاتة ضحكوا وقال اللي قاعد جنبي، تقصد 200 متر في الثانية أكيد، إحنا فعلاً كسرناها من فترة، إحنا كسرنا حاجز الصوت نفسه .

بعد خمس دقايق طلعنا من النفق . . والعربية وقفت، كان النور ساطع جداً فأخدت لحظات لحد ما عيني أتعودت عليه . . بص لقيتنا في جنية فيلا . . فيلا مهجورة . بصيت ورايا ملقتش أثر للكهف اللي كنا ماشيين فيه .

نزلنا من العربية ودخلنا الفيلا إلي كانت معظم شبابيكها مكسرة، وعلى جدرانها طبقات من التراب، كان باب الفيلا مفتوح، مجرد لما دخلنا لقيت الفيلا منورة بضوء أصفر محمر، شبه ضوء النار، معرفتش مصدر الضوء لكنه كان ساطع جداً ومتوزع في القاعة بشكل متساوي رغم إنها كانت واسعة وسقفها عالي جداً . . عالي بشكل يسبب رهبة وخشوع . . يا ترى المكان المخيف ده مين اللي كان سكنه قبل كده . بص حوليا

أشوف إيه المكان الغريب ده، لقيت في آخر القاعة اثنين قاعدين، ركزت لقيت واحدة ست عجوزة لابسة أسود، قاعدة مع راجل لابس جلبيه صعيدي لونها كاكاوي وعمة بيضا .

التلاتة اللي معايا لما لقوني واقف مبتحركش شاوروا لي إني أروح للست والراجل . . أفتكروني خايف أدخل، رغم إن دي اللحظة الأولى في الرحلة إلي مكنش خايف وأكون متحمس . . وحاسس بإثارة ورغبة في المغامرة .

لما قربت علطول عرفت الست . . هي هي الست الصعيدية اللي قبلتني في المحطة . . . أرهفان اسمها، معقولة دي ممكن تكون شكلها حلو في العالم بتاعهم . . ده الغراب لو شافها هيخاف .

كانت الست بتتكلم مع الراجل اللي معاها وكان هو ماسك في إيديه شيء بيلمع . . كان عبارة عن عصاية لونها نحاسي في آخرها كورة كبيرة لونها ذهبي منقوش عليها رموز ورسوم، العصاية كانت بتلمع لمعان شديد، كأنها مصنوعة من نار .

قطعت الست كلامها مع الراجل وقالت: أهلاً يا ماهر .

الراجل اتبهلي وبص نحيتي . . كان شبه الثلاثة اللي معايا بالظبط، بس الفرق إنه لابس صعيدي . . بشرة خير . . شكلنا طالعين نموت . . الناس دي فاهمة التخفي غلط، كلهم متخفين في نفس الشكل .

لفت الست وبصتلي وبعدين قالت: إحنا آسفين إننا عرضناك للمخاطرة دي، لكن زي ما أبناس قلك في القطر إحنا مكنش قدامنا خيار تاني .

قلت: هو اسمه أبناس !

بصت لواحد من التلاتة أظن اللي كان قاعد جنبي في العربية، وقالتله إنت معرفتهوش اسمك كل ده معقول ؟ !

رد : مجتش فرصة، في العربية كنا بنحاول نبعد عن كماين وجواسيس التعالب، اللي كانوا كتير مش فاهم ليه . . شكلهم عرفوا جزء من مسارنا وقدروا يتبعونا . . فيه دورية منهم كانت على وشك إنها تمسكنا مهربناش منهم غير لما دخلنا جبل العاشقين، أظن إنهم مكنوش عارفين طبيعة الجبل، عملوا دوشة جامدة فالجبل بلعهم ، كانوا قريبين منا جداً .

ردت بغضب: لازم نحقق في الموضوع ده . . إزاي حاجة زي دي تحصل أمال الألف جسوس، والعشر عربيات اللي حطيناهم للتمويه دول كان لزمتهم

إيه. . أرخيف مبقاش يشوف شغله خالص اليومين دول . . رغم الخطورة والأهمية الكبيرة للعملية دي.

رد: السيد أرخيف قايم بدور عظيم يا سيدة أرهفان، لكن التعالب حاطين كل قوتهم وحيلهم علشان يوقفوا العملية، والتعالب مش سهلين.

ردت: خلاص. . خلاص، نتكلم في المهم دلوقتي . . ونشوف الموضوع ده بعدين.

بصت للراجل اللي كان قاعد قدامها فهمت إن هو اللي هيشرحلي المهمة. .

بصلي بتركيز وقال:

الفصل السادس

بص يا ماهر. . اللي في إيدي ده الصولجان اللي المفروض ندمره، لكن علشان يتدمر لازم يتفعل الأول ويكون كامل. . الصولجان ده ناقص منه جزء . . زي ما إنت شايف كدة، شاور لآخر العصاية فلاحظت إنها مكسورة، مقبض الصولجان مكسور. . كل اللي إنت هتعمله هتيجي معانا لمكان شبيه بالفيلا اللي إحنا فيها دي، هتاخد الصولجان ده وهتعدي من فوق ممر، هو فعلاً ممر ضيق لكن أظنك هتقدر تعدي من فوقه، لما توصل لآخر الممر هتلاقي بوابة كبيرة. . جنب البوابة هتلاقي على الجدار بقية المقبض بتاع الصولجان، هتقوم مركب الصولجان عليه. . ومتقلقش هو هيتلحم في بعضه. . بعد كدة تحط الناب ده في الفتحة اللي فوق دي. . شاور على فتحة في الكورة الذهبية اللي في الصولجان، هترشق الناب جامد . . بعد كدة شد الصولجان لتحت لفه لحد ما يبقى عمودي، يعني تبقى الكورة هي اللي ناحية الأرض. . بعد كدة حاول تخلعه هتلقيه إتخلع معاك. . هيجي بعدها واحد منا ياخده منك علشان يدمره. . وبكدة هتكون مهمتك إنتهت.

رديت: طيب وليه مدمروش أنا ؟ !

مردش وبص لأرهفان، فقامت هي قالت: ده شيء صعب عليك وفيه مخاطرة كبيرة، إحنا خليناك تخاطر كفاية، فمتشغلش بالك هند مره إحنا .

صحيح . . إحنا جبنالك أكل إحنا عارفين إنك ملحقتش تتغدى . . فروح كل بقى وانتظر لحد ما ميعاد المهمة يجي، قالت بنبرة ودودة: أتمنى أكلنا يعجبك .

يلا يا ماهر هنتحرك دلوقتي . . أبناس قال .

قمت وأنا حاسس بقوة رهيبة، الأكل اللي كلته ده حاسس إنه مش عادي، رغم إنه شكله أكل زي أكلنا ، فعلاً كان طعمه مختلف، لكن مش شايف فيه فرق كبير بينه وبين أكلنا ، أظن فرق طريقة الطبخ مش أكتر . لكن من ساعة ما كلت وأنا حاسس إني ممكن أضرب إيدي في جدار أوقعه، وحاسس إني ممكن أرمي نفسي في نار محفش . هل الأكل هو السبب ولا أنا اللي متحمس مش عارف . . لكن أيًا كان السبب في القوة اللي أنا حاسسها دي، فهو شيء كويس وممتع .

رديت على أبناس بنبرة واثقة: هنروح بالعربية برضو ؟

رد: لأ هنروح مشي . . المكان قريب . أطمن أنا هكون الحارس الشخصي بتاعك، محدش ممكن يوصلك طول ما أنا حي .

قلت: مطمن . . متقلقش عليا .

في اللحظة دي لقيت أرهفان واقفة جنبي . . لقيتها بتناولني سيف في جراب . طلعته من الجراب لقيته سيف عادي، كنت متوقع إن سيوف العفاريت هتكون مختلفة . لكن أديني مسكت سيف لأول مرة، طول عمري كنت بحلم أمسك سيف . . لأ وسيف حقيقي وفي معركة حقيقية . . لأ ومعركة مع الجن كمان . بصراحة الموضوع رغم الخطر مثير جداً، مين محلمش يعيش مغامرة زي دي .

بعد ما بصيت للسيف لقيتها بتقولي: مصير الجن ومصير البشر بين إديك يا ماهر، أنت بطل . . يمكن البشر مش هيسمعوا عن بطولتك دي لكن كل الجن في مصر عارفين دلوقتي بالبشري الشجاع اللي وافق يخوض مهمة خطرة زي دي علشان ينقذ أهل بلده .

رديت: أطمني يا سيدة أرهفان، وأنا هكون عند حسن ظنهم، هعمل كل اللي أقدر عليه علشان المهمة تنجح .

أبناس سلمني الصولجان كان محطوط في جراب جلد بيتلف حولين الجسم بحيث يكون الصولجان ناحية الصدر. لبست الجراب، واتحركت مع أبناس. كنت حاسس بشعور غريب.. هو ده شعور الفخر؟! حسيت للحظة إني أهم واحد على الأرض دلوقتي، وإن مصير كل الناس متعلق على صدري. قبضت إيدي وقلت في نفسي بجزم.. المهمة هتنجح حتى لو كان موتي تمن ده.

خرجت من الفيلا مع أبناس لوحدنا فسألته: هو محدش جي معانا؟

ضحك بعدين رد: فيه آلاف الأفاعي جيين، لكن هم هيروحوا بطرق تانية. خرجت أنا ونت لوحدينا علشان منلفتش الأنظار.. لكن أطمن في كل شق في جدار حولينا فيه حارس عنده استعداد يموت علشان إحنا نكمل طريقنا بسلام.

مشينا شوية لقيت نفسي في ميدان التحرير دخلنا شارع من جنب الجامعة الأمريكية، مرينا على قاعات الجامعة القديمة وعلى المجمع العلمي، في وسط الشارع كان فيه مبني قديم.. مبنى جدرانه عالية مغطيها التراب شبابيكه مكسره وعلى السقف بتاعة تسقيفة من شجرة معرفش نوعها، لكن

غصونها المرنة الرفيعة كانت مغطية السقف، جزء منها كان دبلان وجزء كان أخضر. . المبنى كان قديم جداً . . النظر ليه بس يسبب رهبة وقشعرة في الجلد . . العجيب إن المبنى كان مكتوب عليه يافطه إنه مدرسة، وشكل اليافطة جديدة، يعني دي فعلاً مدرسة شغالة.

سألت أبناس: هو ده المكان؟!

رد: أيوة ليه مستغرب.

قلت: دي مدرسة.

قال: مدرسة بالنهار، إحنا دلوقتي بالليل . . الليل بيغير طبيعة حجات كتير.

وقفت أبص على شكل اليافطة وعلى شكل المكان وأنا مستغرب إزاي مكان موحش زي ده يبقى مدرسة.

لكن أبناس شدني من إيدي وقلي: مش وقت استغراب . . يلا نتحرك.

كان الباب الحديد مفتوح دخلنا بسهولة . . محدش لاحظنا . وقفنا قدام السلالم بصيت على المبنى من جوه . . لقيت ضوء أصفر ساطع جداً . . بص أبناس للسما . . كنت هدخل مسكني وهو بيقول: استنى لسة ناقص شوية.

مكنتش واخد بالي إن إنهاردة ليلة 14 لما بصيت للسما لقيت القمر حجمه أكبر من المعتاد . . ولقيت فيه خطوت حمرا عمله زي الشعيرات الدموية اللي بتكون موجودة في العين، مسمعتش في الأخبار إنه فيه خسوف إنهاردة .

فجأة لاحظت إن فيه حركة غريبة في المكان حولينا ، أبناس خلع قناعة والجلبية اللي كان لابسها ولقيته إتحول لتعبان مهول، بدأت تظهر أصوات تعالب . . ولقيت السور اللي بيحوط حوش المدرسة كله مليان تعالب . . كانوا بيبصولنا بشراسة . . نظرة مليانة غيظ . لقيت الأرض من حولينا بتتهز والتراب زي ما يكون بيغور، لقيت عدد كبير من التعابين طالعة من تحت الأرض وبدأت أصوات الفحيح تتداخل مع أصوات العويل .

كنت عارف إن لحظة الإلتحام المميت باقي عليها ثواني . . بص أبناس للسما ، وكانت التعابين اللي محوطانا بتتبادل نظرات الوعيد بالموت مع التعالب اللي على الأسوار .

أبناس قلي: جه الوقت . . لكنه قال الكلمة متأخر .

كنت عرفت إنه جه الوقت . الضوء اللي جي من جوه المدرسة سطع أكتر فجأة وكأنه إنفجر وطلع منه شرارة كبيرة طارت بسرعة رصاصة

ودخلت الصولجان . . الكورة الدهبية إتوهجت لحد ما لونها أحمر . . طبعًا درجة حرارة المعدن كانت عالية جدًا صهرت الجراب الجلد وحرقتني ووصلت لجلدي . لكني كنت أتنبهت لده قبلها بلحظات فخرجت الصولجان من الجراب ومسكته في إيدي قبل ما يموتني . . العجيب إن المقبض رغم كونه معدن . . موصلتهوش أي حرارة .

في اللحظة دي بدأ الهجوم وعلي صوت الصراخ وإنتشر الضباب في المكان . . وفي نفس اللحظة لقيت ممر رفيع بيتمد من عند النار اللي جوه المدرسة لحد ما وصل للباب .

الممر كان رفيع لدرجة إنك متقدرش تحط عليه رجلين جنب بعض . . خرجت السيف من الجراب . . مسكته في إيدي اليمين والصولجان في الشمال . . وبخطوات ثابتة أتحركت بعيد عن الضباب ونطيت وقفت على الممر .

أبناس كان بيحاول يفلت من تحت أسنان واحد من التعالب . . اللي رغم فرق الحجم قدر إنه يمسك أبناس من مكان خلاه مش قادر يُصدر أي مقاومة . . عرفت إني عليا إني أتحرك لوحدي وبسرعة .

على الجانبين من الممر كان فيه بِركة فيها سائل بلون الدم . . مكنتش محتاج حد يقولي إني لو وقعت فيها هموت . كانت الحرارة الرهيبة اللي طالعة منها بتتكلم عن نفسها .

الممر كان أملس جداً وعليه سائل شبه الزيت . . الممر كمان درجة حرارته كانت فوق درجة غليان الماية . . كنت حاسس بجزمتي وهي بتسيح . . وكان لازم أتحرك بسرعة قبل ما الحرارة توصل لرجلي . . لكن الحركة لو زادت عن حد معين . . معناها إني هتزحلق بسبب الزيت أو بسبب ضيق الممر وهفقد توازني وهقع . لكني كملت بشجاعة عمري ما توقعت إني ممكن أمتلكها .

ويبدو إن خطوط الدفاع اللي حطها التعابين كانت أضعف بكتير من هجوم التعالب . . ونا بتحرك على الممر بأقصى سرعة أقدر أتحرك بيها . سمعت صوت رِجل أول تعلب دخل الممر . . مش عارف إزاي كان بيتحرك عليه أسرع مني . . في خلال وقت قصير كان بينه وبيني مترين . . أتلفت ليه وهو بينط . . نطته مكنتش بهدف إنه يدخل معايا في معركة . . كان واضح جداً إنه عاوز يخدني ويقع بيا في البركة . . كانت عملية إنتحارية .

وقفت على الممر بالعرض، وتنيت ركبتي شوية علشان أكون واخد أكبر ثبات ممكن، وعلشان ضربتي تاخد قوة زيادة ونا بفرد ركبتي. . دماغ المهندس بتنفع في بعض الأحيان.

بضربتين واحدة بالسيف على رقبته والتانية بالصولجان في صدره، كان التعلب راسه في ناحية من البركة وجسمه في ناحية تانية. . . . عملية إنتحارية فاشلة.

في اللحظة دي لاحظت المعركة اللي دايرة قدام الممر. . التعالب كانت بتقاتل بشراسة شديدة، كانوا رغم عضات التعابين، وسمهم عندهم إصرار رهيب لدخول الممر. . يبدوا إنهم كلهم جيين يموتوا بس يمنعوني أوصل.

على الأرض كان فيه تعابين متقطعة بأسنان التعالب، وبرضو كان فيه تعالب ميتة بسم التعابين. . وكان فيه تعابين ملفوفة على تعالب وهم الاتنين ميتين.

تعلبين كمان قدروا يهربوا من بين أنياب التعابين ودخلوا الممر. لكن المرة دي أنا خلاص قربت.

قربت؟!!!!!!!

قربت من الضوء الساطع، لكني من الحماسة مفكرتش إيه الضوء ده. .

الضوء الساطع طلع نار. . نار مهولة. . سادة الممر، وطالع منها صوت شبه الشلال. . هو فعلاً شلال. شلال من حمم نار.

بصيت لقيت التعلبين قربوا ولقيت تعلبين تانين دخلوا الممر. . ونعل جزمتي كان خلاص أتحرق كله تقريبًا وبدأت أحس الحرارة في رجلي.

شكل الأفاعي ودوني في داهية. . فين البوابة اللي بيقولوا عليها دي مش شايفها. . أنا مش شايف حوليا غير نار. . لو وقفت في مكاني هموت ولو حاولت أرجع هموت. . أعمل إيه. . التعلبين خلاص بينهم وبيني أقل من خمسة متر.

في اللحظة دي سمعت جوايا صوت مألوف، بيقول جملة مش ممكن أنساها.

الفصل السابع

صوت أرهفان بيقول جوايا بفحيح مخلوط بنبرة قلق: "ما يجلي الهوايل إلا المرور في النار" . . . "ما يجلي الهوايل إلا المرور في النار"

صرخت بصوت عالي صوت حد لقى حبل بيتمدله وهو بيغرق: فهمت . . فهمت . . فهمت معنى الجملة أخيراً .

بصيت لشلال النار ورايا . . معنى الجملة إني لازم أعدي من الشلال ده . . لازم أعدي من النار . . علشان الهوايل تتجلي وتروح.

يا ترى المرور في النار هيجلي الهوايل فعلاً . . مقدميش غير إني أمر.

كان خلاص التعلب الأول وصلي . . قبل ما ينط أتحركت ناحيته وطعنته تحت رقبته بالسيف . . فوقع في البِركة. لفيت وأتحركت بأقصى سرعة ودخلت الشلال . . شلال النار .

اتحركت 5 خطوات جوى الشلال . . كل اللي حسيته كإني معدي من دشماية سخنة. بعد ما عديت أتلفت ورايا . . شفت التعلب التاني وهو بيدخل الشلال . . في لحظة لقيت جسمه ساح . . إتحول لسائل احمر . . نزل مع الشلال للبركة.

عرفت ليه مينفعش غير بشري هو اللي يعمل المهمة دي.

لفيت لقيت بوابة كبيرة بلون العاج.. عليها رسومات لأشخاص شكلهم ملوك، كلهم ماسكين صولجان طويل.. نفس الصولجان.. ركزت شوية.. لقيته هو هو الصولجان اللي في إيدي. بصيت جنب البوابة.. لقيت عصاية نحاسية مكسورة.. متثبتة في حاجة تشبه المقبض.. أتحركت ناحيتها بهدوء.. كان الممر خلص.. والأرض بقت باردة.. وكان قدامي سلالم من رخام أبيض. طلعت السلالم وبسرعة حطيت الصولجان اللي الكورة اللي عليه بتتوهج بلون أحمر شديد.. على العصاية المتثبتة على مقبض في الجدار.

حرارة مقبض الصولجان عليت جداً فجأة فاضطريت أشيل إيدي بسرعة.. لكن الصولجان موقعش.. الصولجان ألتحم بالجزء الناقص منه.. وشع بضوء ساطع بعدين رجع للونه الطبيعي.

بسرعة خرجت الناب من الجراب وحطيت في المكان بتاعه.

دلوقتي ناقص آخر خطوة.. مسكت الصولجان ولفيته مع المقبض لحد ما بقت الكورة ناحية الأرض.. بعدين شديت الصولجان من مكانه.

فجأة لقيت صوت رهيب طالع من البوابة . . وضوء بلون أبيض ساطع من قوته وقعت على الأرض . . لما فتحت عيني لقيت البوابة مفتوحة . . ولقيت الراجل الصعيدي اللي كان مع الست واقف قدامي بيمد لي إيدو علشان يوقفني .

وقفت . . قلي إديني الصولجان يا ماهر علشان ندمره بسرعة .

إترددت لحظة بصيت للصولجان . . بعدين بصيت لعنيه المتركزة عليا . . بعدين إدتهوله . . وقلتله خلاص المهمة خلصت ؟

قال: كدة خلاص مهمتك خلصت . . إنت قدمت لينا أعظم خدمة ممكن حد يقدمها لقبيلة الأفاعي . . وإحنا عند وعدنا .

بصيت ناحية بوابة المدرسة لقيت الممر اختفى هو والبركة الحمرا والشلال وظهر مكانهم سلالم قديمة مكسرة . . برا المدرسة كان الضباب راح وصوت المعركة وقف . . حتى الجثث إختفت .

لقيته خرج من جيبه شيء لونه ذهبي . . ومسك إيدي الشمال وحطة على معصمي . . فلف لوحده على المعصم .

قلتله: إيه ده ؟

رد: سوار الرفاعي اللي وعدناك بيه، دلوقتي كل تعابين الأرض هتكون ملك إديك. تأمرهم يطيعوك.

سألت: حتى أنتم؟!

رد: إحنا مش تعابين.. إحنا بناخد شكل التعابين.. لكن رغم كدة في أي وقت هتحتاج مساعدتنا إنت عارف ممكن تستدعينا إزاي.

العربية اللي إنت جيت فيها مستنياك برة على باب المدرسة.. هتوصلك لحد بيتك.. مش هتقابل أبناس هناك مع الأسف لإنه إتصاب في المعركة إصابة شديدة. نشوفك على خير.. يا ماهر.

إتحركت ناحية بوابة المدرسة.. اللي كل حاجة فيها رجعت هادية زي الأول.. بصيت على الشجرة اللي على السقف ولاحظت شيء يرقبني.. شيء كلمني بصوت مليان فحيح.. لكنه المرة دي كان تعبان حقيقي.

-

-

-

بعد ثلاثة شهور قبل الشروق بدقائق . . ماهر واقف في شباك غرفته يحتسي القهوة في فنجان أبيض صغير، ينظر اللي الحقل خلف بيته في القرية ينتظر الشروق ليراه كعادته اليومية . . لاحظ حركة غريبة في الزرع . . بعد تركيز لحظات رأى حيوان بني اللون يتحرك ببطئ وسط الزرع . . يرفع راسه بحذر وينظر ناحية البيت . . بسهولة عرف ماهر نوع الحيوان . . هناك ثعلب يراقب بيته . . لكنه ليس ثعلبًا عاديًا .

خمسة ثعابين تتحرك ببطئ داخل الزرع متجهه ناحية الثعلب . . حاوطت الثعابين الثعلب . . وفي اللحظة التي أحس فيها بوجدهم كانوا قد إلتفوا عليه وقيدوه بقوة، عصروه بعضلاتهم لدرجة جعلته غير قادر على تحريك أي جزء من جسده إلا فمه . . . ولولا أنهم قد أُمروا ألا يقتلوه لكانت ضلوعه أصبحت مهشمّة و بعضها مخترقٌ رئته وقلبه .

نزل ماهر للثعلب المقيّد فنظر إليه نظرة ماكرة عندما . . وقاله بصوت بشري نبرته تملؤها الكراهية: أنا عندي ليك معلومات مهمة، دي مش طريقة تعامل بيها حد جاي يديك معلومات .

رد ماهر: يستحسن تقولها قبل ما ضلوعك تتكسر .

قال بنبرة خبيثة: طبعًا يا سيد الأفاعي . . مش بتحب تسمي نفسك كدة برضو . . ضحك بصوت عالي. . . . . طبعًا إنت مقتنع إنك بطل، إنت مقتنع إنك أنقذت العالم بتاعك من قبيلة جن التعالب الأشرار اللي كانوا جيين يحتلوه . . وقبيلة الأفاعي الطيبين ساعدوك على ده . . لإنهم بيحبوا الخير . جم من العالم السفلي مخصوص علشان ينقذوكم مننا . . أنا بقى جاي أقول لسيد الأفاعي . . البطل الشجاع حامي البلاد ومنقذها . . إنه مجرد سفيه مخدوع سلم بلده وشعبه بكامل إرادته لأبشع إحتلال في تاريخ الأرض .

رد ماهر بنبرة غضب: إيه التخريف اللي إنت بتقوله ده . . كونك إتهزمت أنت وشعبك خلاك عاوز تشككني في نفسي وفي العمل النبيل اللي عملته . . وفي الناس اللي سعدتني . . مش هتعرف أبدًا .

ضحك التعلب بسخرية حتى ظهر على وجه ماهر ملامح الغيظ . . رد الثعلب: هم قلولك مهمتك إنك تقفل باب وتدمر صولجان صح ؟

رد ماهر بنبرة مهزوزة: أيوة .

بسرعة أكمل الثعلب: لكن اللي حصل إنك فتحت باب وإديت الصولجان لكبير قبيلة الأفاعي . . أنا عارف إنه قلك إنه واخده يدمره . . لكنك مشفتش ده بعينك .

إبتلع ماهر ريقة ببطئ وتذكر كلمة قالها له أبناس وهو في القطار . . ظنها ماهر وقتها ذلة لسان: " الصولجان ده هيخلي كبير التعابين في مقدوره إنه يستخدم قدراته كجني في كل العوالم . . بما فيهم عالم البشر، هو وكل أتباعه . "

الكلمة رنت في أذن ماهر . . وأحس بعصرة في قلبه .

لاحظ الثعلب نظرات ماهر التي غشيها الحزن . . فقرر أن يُجهز عليه . .

فقال: التعابين الطيبين اللي كانوا جيين ينقذوكوا دول . . مورين شعبنا الويل . . آلاف الجن مات من الجوع بسببهم، مبيرحموش حد مبيهمش غير ملكهم وسطوتهم، وبيتلذذوا بإنهم يذلوا غيرهم ويعذبوه .

الوضع ظل كدة لحد ما أجدادنا كونوا فرقة وقرنوا أرواحهم بالتعلب . . وسموا نفسهم قبيلة التعالب . . وبدأنا نقاوم حكومة التعابين . . بكل قوتنا وقدرنا إننا بعد معارك كتير وضحايا كتير، نرجع جزء من الحق اللي

سرقه التعابين . . في الوقت اللي كنا خلاص على وشك هزيمة التعابين . . جتلهم فكرة جهنيمة من الشيطانة اللي اسمها أرهفان وهي فكرة إستعادة الصولجان . . اللي هيديهم قوة مفيش جني يقدر يقف قصادها .

ده كمان صادف حلم قديم لكبير الأفاعي وهو دخول عالم البشر والسيطرة عليه . . شيء بيشترك فيه كل الملوك . . الرغبة في توسيع ملكهم .

طبعًا الموضوع مكنش سهل، بل كان في نظر كبير التعابين مستحيل، لكن الشيطانة أرهفان أقنعته وحطت خطة مُحكمة لتنفيذه .

وكان باقي إنهم يصطادوا البشري الساذج اللي ينفذ الخطة .

التعويذة اللي اتحطت من آلاف السنين علشان تحمي البوابة شرط من شروط فكها إن اللي يفتح البوابة لعالم البشر، لازم يكون من البشر . . لإن دخول الجن لعالم البشر كفيل بتدميره، بالتالي لازم البشر بس اللي يتحكموا فيه، والصولجان وقوته السحرية اللي في مقدورها تدمير أي جني، مش هتخلي أي حد من الجن يفكر إنه يعمل مؤامرة ويتسلل للعالم بتاعكم، لإن مالك الصولجان هيخفيه من الوجود .

الصولجان اللي إنت سلمته لكبير الأفاعي بكل غباوة.

مع الأسف اللي كون التعويذة رغم ذكائه محطش في حسابه وجود سذج زيك.

قال ماهر بنبرة يملؤها القهر والحسرة: تقصد إنهم إختاروني شخصيًا.. يعني مكنتش صدفة؟

رد التعلب بنبرة غِل: طبعًا.

تابع ماهر: يعني موضوع المرحلة الأولى والتعويذة اللي أنتم حطيتوها على الشارع هي اللي أجبرتهم إن أنا شخصيًا الي أكمل المرحلة التانية ده كذب.

ضحك التعلب بصوت عالٍ: التعويذة دي محطوته من آلاف السنين.. محدش في العصر الحالي يقدر إنه يكوّن حاجة زيها ولا حتى قريبة من قوتها وتعقيدها.. الحكاية التافهة دي كانت جزء من الخدعة إللي خدعوا بيها الإنسي الساذج علشان يفتحلهم الباب لعالم البشر.

رد ماهر: بس أنا عملت ده بحسن نية.. كنت عاوز أساعد الست..

وكنت عاوز أحمي الناس.

ضحك التعلب مرة ثانية وقال: كل البلاد اللي أدمرت والشعوب اللي اتسرقت حصلهم اللي حصلهم بحسن نيّة بعضهم . . بحسن النية فتحوا لأعدائهم الأبواب وإدوهم مفاتيح بلادهم . . أعدائهم اللي أقنعوهم إنهم جايين ومعاهم الرخاء . . أو الحرية . . أو التمدن . . أو التطور . . لكن مكنش معاهم غير الدمار .

بدأت عيون ماهر تدمع بغزارة . . ابتسم الثعلب . . كل دمعة من عين ماهر تشفي جزء من الغل الذي يملؤ قلبه . . أكمل الثعلب: من وسط الناس اللي إدت لأعداءها فرصة تدمير شعوبها أنت تاخد المركز الأول عليهم باكتساح . . إنت سلمت العالم بتاعك كله لأسوء قبيلة من قبائل الجن .

إزاي وثقت في حد متعرفوش . . إزاي وثقت في حد مش بس مش من شعبك ده مش من جنسك خالص . . إزاي ظنيت إنه جي يحميك أو يساعدك . . إزاي أغفلت فكرة إنه بيستخدمك علشان أغراضه الخاصة .

قبل أن يرد ماهر أكمل الثعلب: أقولك أنا . . لإن حسن نيتك و سذاجتك اتخلط معاها الطمع . . كنت عاوز سوار الرفاعي يا سيد الأفاعي . .

وكنت عاوز يتقال عنك البطل المغوار الشجاع. . الرغبة دي عمت عينك عن حجات كانت واضحة. . حجات كانت بتصرخ تقولك ما تثقش فيهم.

قاطعه ماهر وهو منهار: أنت جاي تقولي الكلام ده ليه دلوقتي. . ولا كنت جاي تقتلني علشان تنتقم مني؟

ضحك التعلب بسخرية وقال: لا، مكنتش ناوي أقتلك. . أنا عارف إني مش هقدر على ده. . أنت أتسببت في موت كل قبيلتي. . ومستحيل كنت هقدر أعذبك بشيء زيادة عن كلامي ده.

سيبك من الكام دمعة اللي نزلوا دول. . بكرة لما تشوف العالم بتاعك بيتدمر. . قدام عنيك وإنت حاسس إنك المسؤول عن الدمار ده. . هتتقتل كل يوم مية مرة. . مش مرة واحدة.

هيتسللوا لعالم البشر ببطئ، هيسيطروا على كل شيء فيه، لحد ما يملكوه بالكامل. . محدش هيقدر يعرفهم غيرك. . لإنك سيد الأفاعي اللي بيفهم لغتهم. . هتزعق وتقول للناس خلو بالكم دول جن جيين يدمرونا. . بس محدش هيصدقك.

سكت التعلب للحظات ثم أكمل بنبرة زاد فيه الخبث والمكر: عارف ليه التعابين كانوا بيتكلموا جواك بصوت فحيح؟

أنتبه ماهر للكلمة دي كانت حاجة محيراه فسأل بسرعة: ليه؟

رد: لإن لو فيه جني إتكلم بصوت البشر بدون إذن حامل الصولجان سهل جداً تتبع صوته ومعرفة كلامه، وموقع صدور الكلام ده.

دلوقتي الأفاعي عرفوا كل الكلام اللي قلتلهولك، عرفوا إنك عرفت حقيقتهم.. هم بقى هيتولوا بنفسهم تأكيد كلامي ليك.. لو مكنتش مصدقني.

ضحك التعلب بصوت عالٍ.. وهو ينظر لدموع ماهر.. وكانت ضحكات الثعلب تضاعف وجعه وحسرته على نفسه. أشار ماهر للتعابين الخمسة.. رفع يده مفرودة ثم قبضها بقوة.. في لحظات سكت الثعلب عن الضحك سكت للأبد.

الفصل الأخير

بعد سنة . . أحد المستشفيات الخاصة للأمراض النفسية بالقاهرة: . . . . . .

شاب يصرخ في غرفة: "أنا مهندس كهرباء لسة متخرج وبشتغل في شركة مقاولات . . . ."

أمام الغرفة اثنين من المرضين أحدهما يقول لزميله: غريب قوي أمر الشاب ده . . معتقد إن فيه جن بيسيطر على البلد وهيحتلها وبيقول إنه ساعدهم في ده.

رد صاحبه وهو يضحك: لأ وبيذكر أشخاص معلهمش غبار . .

بيشتم أنضف ناس في البلد .

رد الممرض الأول: ده بيقول على الست اللي زي القمر اللي لسة ماشية دي إنها شيطانة . . دكتورة أرهفان . . وكل أما يشوفها في التلفزيون يتجنن ويقول سامعين الفحيح . . أهه صوتها صوت تعبان .

رد الممرض الثاني: ورغم كدة الست لما عرفت بحالته جت بنفسها هنا شافته . . وقررت إنها تدفعله كل مصاريف العلاج والإقامة في

المستشفى . . ووصت إنه يتعامل أحسن معاملة ويتحط في أحسن عنبر . .

وقالت إنها متكفلة بأي مصاريف زيادة .

رد الممرض الأول: بس حلوة قوييي . . دي طلتها تسرق القلب وتجنن العاقل . .

أكيد الواد شاف حلوتها اتجنن . . معذور .

رد الثاني: حلاوة بالقشطة . . دي بتنور في الضلمة يا جدع .

رد الأول: لأ ورقتها . . بقى دي صوتها صوت فحيح يا مفتري . . ده صوت

كنارية صوت كمانجة .

رد الثاني: بس رغم كدة تحس إنه عاقل . . مبيعملش حاجة من بتوع المجانين

غير الفكرة الغريبة اللي مسكة دماغة دي .

رد الأول: مسكين فعلاً . . بيقولوا عليه إنه كان شاب ذكي وشاطر .

تمت . . . .